

## صيد الخاطر

354 - \_ فصل : وزن الأعمال في الدنيا قبل موازين الآخرة .

تفكرت في نفسي يوماً تفكراً متحققاً فحسبتها قبل أن تحاسب وزنتها قبل أن توزن فرأيت اللطف الرباني فمنذ الطفولة و إلى الآن أرى لطفاً بعد لطف و ستراً على قبيح و عفواً عمما يوجب عقوبة .

و ما أرى لذلك سكراً إلا باللسان .

و لقد تفكرت في خطايا لا عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً .

و لا كشف للناس ببعضها لاستحييت .

و لا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنب حتى يظن في ما يظن في الفساق .  
بل هي ذنب قبيحة في حق مثلي و وقعت بتآؤيلات فاسدة .

فصرت إذ دعوت أقول : اللهم بحمدك و سترك على إغفر لي .

ثم طالبت نفسي بالشكراً على ذلك بما وجدته كما ينبغي .

ثم أنا أتقاضى القدر مراداتي و لا أتقاضى نفسي بصبر على مكروره و لا بشكر على نعمة .  
فأخذت أنوح على تقصيرني في شكر المنعم و كوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به

و قد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر و ما حصل المقصود .

فوجدت أبا الوفاء بن عقيل قد ناح نحو ما تحت فأعجبتني نياحته فكتبتها ههنا .

قال لنفسه : يا رعناء تقومين الألفاظ ليقال مناظر و ثمرة هذا أن يقال : يا مناظر .  
كما يقال للمصارع الفاره .

ضييعت أعز الأشياء و أنفسها عند العقلاء و هي أيام العمر حتى شاع لك بين من يموت غداً اسم  
مناظر .

ثم ينسى الذاكر و المذكور إذا درست القلوب .

هذا إن تأخر الأمر إلى موتك بل ربما نشأ شاب أفره منك فموهوا له و صار الاسم له .  
و العقلاء عن هـ تشاغلوا بما - إذا انطواوا - نشرهم و هو العمل بالعلم و النظر الخالص  
لنفسهم .

أف لنفسي و قد سطرت عدة مجلدات في فنون العلوم و ما عبق بها فضيلة .

إن نظرت شمخت و إن نوصحت تعجرفت و إن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم و سقطت  
عليها الغراب على الجيف .

فليتها أخذت أخذ المضطر من الميّة .

توفر في المخالطة عيوباً تبلي و لا تحتشم نظر الحق إليها .

و إن إنكسر لها غرض تضجرت فإن أمدتك لك بالنعم اشتغلت عن المنعم .

أف و إمّا مني اليوم على وجه الأرض و غداً تحتها .

و إمّا إن نتن جسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن خلائقي و أنا .

بين الأصحاب .

و إمّا إنني قد بهرني حلم هذا الكريم عنِّي كيف يسترنِي و أنا أتهتك و يجمعني و أنا أتشتت .

و غداً يقال : مات الحبر العالم الصالح و لو عرفوني حتى معرفتي بنفسي ما دفنوني .

و إمّا لأنادين على نفسي نداء المكشفيين معايب الأعداء .

و لأنوحن نوح الثاكلين للأبناء إذ لا نائح لي ينوح على لهذه المصائب المتكونة و الحال

المغطاة التي قد سترها من خبرها و غطاها من علمها .

و إمّا ما أجد لنفسي خلة أستحسن أن أقول متوكلاً بها : اللهم اغفر لي كذا كذا .

و إمّا ما ألتفت قط إلا وجدت منه سبحانه براً يكفيني و وقاية تحمياني مع تسلط الأعداء .

و لا عرضت حاجة فمددت يدي إلا قضاها هذا فعله معي و هو رب غني عنِّي و هذا فعلِي و أنا عبد

فقير إليه .

و لا عذر لي فأقول : ما دريت أو سهوت .

و إمّا لقد خلقني خلقاً صحيحاً سليماً و نور قلبي بالفطنة حتى أن الغائبات و المكتومات

تنكشف لفهمي .

فوا حسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطاق الرضى .

وا حرمانِي لمقامات الرجال الفطنة يا حسرتي على ما فرطت في جنب إمّا و شماتة العدو بي .

وا خيبة من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارح على .

وا خذلاني عند إقامة الحجة سخر و إمّا مني الشيطان و أنا الفطن .

اللهم توبَة خالصة من هذه الأقدار و نهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار .

و قد جئتكم بعد الخمسين و أنا من خلق المتع .

و أبى العلم إلا أن يأخذ بيدي إلى معدن الكرم و ليس لي وسيلة إلا التأسف و الندم .

فو إمّا ما عصيتك جاهلاً بمقادر نعمك و لا ناسياً لما أسلفت من كرمك فاغفر لي سالف فعلِي